مقدمة وتمهيد

يثير الحديث عن المسرح العربى عدة مشاكل أولية لابد من تصفيها . وأولى تلك المشاكل تأتى من أن المسرح ليس فنًّا من فنون الأدب التقليدية التى عرفها العرب القدماء وخلفوا لنا فيها تراثاً يشبه ماخلفوه فى فنون الأدب الأخرى كفنون المدح والهجاء والرثاء والغزل والمقامات والخطب وما إليها من فنون الشعر والنثر التقليدية عند العرب .

على أن هذه الظاهرة لا تعفى المتحدث عن المسرح من البحث عما يمكن أن يكون لهذا الفن من أصول تاريخية بعيدة عند المصريين القدماء أو عند العرب بل ولا يعفيه من إيضاح الأسباب التى حالت دون ظهور هذا الفن عند العرب القدماء أو التى حالت دون أخذهم هذا الفن عن اليونان على نحو ما أخذوا عنهم الفلسفة والمنطق وبعض العلوم عند ازدهار الترجمة فى العصر العباسى . كما أنها لا تعفيه أيضاً من البحث عما يمكن أن تكون قد قامت به بعض الفنون الشعبية مثل فن خيال الظل والأراجوز وصندوق الدنيا من تمهيد الشعب المصرى خاصة والشعوب العربية عامة لتقبل الفن المسرحى عندما أخذ العرب هذا الفن عن الغربيين ابتداء من القرن التاسع عشر وأخيراً لا تعفيه هذه الظاهرة أيضاً مما يمكن أن تكون قد أحدثته فنون الأدب التقليدية عند العرب من تأثير على فن المسرح عندما أخذ العرب يترجمون عن الآداب الغربية المسرحيات أو يقتبسونها أو يعربونها ثم يمثلونها فيما أنشأوا من دور للمسرح وفى النهاية عندما أخذوا يؤلفون هم أنفسهم المسرحيات الشعرية والنثرية .

والمشكلة الثانية تتعلق بالتفرقة التى يجب أن نقوم بها بين التاريخ العام

والتاريخ الأدبى وذلك لما سنلاحظه من أن جانباً كبيراً من تاريخ الفن المسرحى لا يمكن أن يدخل فى التاريخ الأدبى الذى تتناوله المجموعة التى تتضمن هذا الكتاب والتى تتحادث عن تاريخ فنون الأدب المختلفة عناد العرب .

وتفسيراً لهذه المشكلة نقول : إن التاريخ العام يتناول الماضى المنقطع أى الماضى الذى مات أو انقضى ولم يعد مستمرًّا فى الحاضر ومؤثراً فيه . وأما التاريخ الأدبى فإنه لا يتناول إلا الماضى المستمر فى الحاضر وهو لا يتحادث عن الماضى المنقطع إلا فى حدود الضرورة التى يستوجبها البحث اللازم لتفسير المؤلفات الأدبية الحية المتخلفة عن ذلك الماضى ، والتى لا تزال تقرأ أو تمثل فى العصر الحاضر ، وتؤثر فينا على نحو من الأنحاء . وليس من شك فى أن التاريخ العام يتناول الكثير من الوثائق والمؤلفات الأدبية التى ماتت بعد عصرها ولم تعد تعتبر من المؤلفات الأدبية الحية المؤثرة ، بل أصبحت مجرد وثائق تاريخية كغيرها من وثائق التاريخ .

وعلى هذا الأساس سنعرض للكثير من المسرحيات وفرق التمثيل ودوره التى ماتت كلها ، ولم تخلف تراثاً حيًّا مؤثراً فى جيلنا الحاضر أو فى الأجيال المقبلة ، وسوف ينطوى تحت هذا الفصل جميع تلك التمثيليات التى مثلت فى مصر وغير مصر بعد ترجمتها أو تعريبها أو تأليفها ، منذ مارون نقاش فى منتصف القرن التاسع عشر . وهو رائد الفن المسرحى فى العالم العربى حتى سنة ١٩٢٧ وهى السنة التى أصدر فيها أحمد شوقى أول مسرحية شعرية له وهى « مصرع كليوباترة » ثم تلتها مسرحياته الأخرى التى طبعت وأعيد طبعها ولا يزال الأدباء والمتأدبون بل وفرق التمثيل ودور المسرح والإذاعة والسينما أحياناً تتداولها بالقراءة والدرس والمشاهدة ثم تبعه بعض كبار أدبائنا من الشعراء والناثرين كمحمود تيمور وتوفيق الحكيم وعزيز أباظة وغيرهم من الأدباء المعاصرين الذين لم يبلغوا مرتبة هؤلاء الأربعة ولم يؤثروا فى فن المسرح وفى الثقافة الأدبية العامة مثلما أثر هؤلاء الأربعة الذين سنركز عليهم الحديث باعتبار أن إنتاجهم المسرحى يبدو أنه

الإنتاج الواسع الانتشار الذى يرجح أن يفلت معظمه أو أكثره من طوفان الزمن وأن يدخل فى التاريخ الأدبى باعتباره تراثاً باقياً دائم التأثير .

وأما ما دون ذلك فأغلبه لا تتوفر له القيم الأدبية والفنية التى تضمن له البقاء بل إن الكثير من المسرحيات التى لاقت النجاح والإقبال عندما مثلت على المسارح لم تطبع ولم تتداولها الأيدى وبالتالى لم تكتسب المظهر المادى الأولى الذى يدخلها فى عداد التراث الأدبى الذى يستحق البحث والتأريخ وتعريف القراء به وإن كنا لن نحجم عن التنويه بما نعتقد أنه خليق بالإنقاذ من الفناء والاحتفاظ به كجزء من تراثنا الأدبى من المسرحيات المترجمة أو المعربة أو المؤلفة والتى لم تطبع لعل فى هذا التنويه ما يدعو بعض الناشرين إلى إنقاذها وإذاعتها بين الجمهور .

وأخيراً تأتى مشكلة نجاح أو عدم نجاح الفن المسرحى عند العرب وأسباب هذا النجاح أو الفشل والوسائل التى نراها كفيلة بتسديد خطى هذا الفن وضمان نجاحه عند العرب وإحداث أثره المرجو فى حياتنا الاجتماعية والثقافية والفنية ، وذلك لأن هذه المشكلة قائمة الآن فعلا فى مصر وغير مصر من البلاد العربية حيث تطالعنا الصحف والمجلات بل والكتب أحياناً كل يوم بأحاديث وآراء ومشروعات تدور كلها حول المسرح وضرورة علاج مشاكله وتسديد خطاه نحو النجاح حرصاً على الدور الذى يستطيع أن ينهض به فى حياتنا العامة والخاصة وإنقاذاً له من منافسة السينما العاتية وصوناً له عن الانحدار إلى مستوى الأدب الرخيص إن لم نقل التهريج المبتذل وفى النهاية بحث التعارض الذى يقوم بين صلاحية بعض المسرحيات العربية الحديثة للقراءة وعدم صلاحيتها للتمثيل وعجزها عن استمالة جمهور المشاهدين وتحديد قيمة الصلاحية للقراءة والصلاحية للتمثيل

والموازنة بينهما من حيث قدرة كل نوع منهما على التأثير فى حياة الناس وأذواقهم وثقافتهم الأدبية والفنية ومعالجة مشاكل التأليف والتمثيل والرابطة الوثيقة التى تقوم بين المشكلتين وكذلك الرابطة التى يجب أن تقوم بين الدولة وفن المسرح تأليفاً وتمثيلا وتشييداً لدور التمثيل وإشرافاً على فرقه ودوره .

محمد منلور